كيف تصلح القرية ؟؟

المصلح — الوسيلة

المصلح : لا تعرف حقيقة الرجال إلا بالأعمال . ولا تقدر الأعمال إلا بما تنتجه من المنافع للناس وقد ورد فى الأثر « خير الناس أنفعهم للناس » .

تختلف قيمة الناس حسب غاياتهم ووسائلهم فمنهم العبيد وكثير ماهم . وهم الذين يعيشون لقضاء شهواتهم . ويقضون أعمارهم أسرى ملذاتهم . فمثلهم كمثل الديدان الحقيرة تحيا وتموت فى مستنقع القاذورات . ومن هؤلاء عباد المال . وعباد الوظائف . وعباد الشهرة . وعباد الجاه . فالكثير من هؤلاء لايرى فى سعيه إلا قضاء لباناته ولا يبالى بغيره سعد أو شقى . وهؤلاء هم الأرقاء يقدرون أنفسهم حسب مايجمعون . أو يتقاضون أجرا على أعمالهم .

وقد قال أحد فلاسفة الانجليز إن الأمة التى لاتدين بغير الهوى . ولا تعبد سوى الدرهم . فأمة سادت عن جادة الصواب . وضلت الطريق السوى . ولعبادة الأوثان خير من عبادة هذين . فأقل مافى الأوثان أنها تمثل الفضائل البشرية وأنها شئ يتطلع اليه » .

ومن الناس : الأحرار ؛ وهم الذين لايرون الدنيا إلا وسيلة لتحقيق أسمى الغايات وأنبل المقاصد . يعيشون حماة للفضيلة . دعاة اليها عاملين لمعاضدتها بأموالهم وأنفسهم يتساوى عندهم أن يكونوا موظفين أو غير موظفين حكاما أو محكومين أغنياء أو رقيق الحال . هؤلاء هم الذين سموا على شهواتهم فأخضعوها وعلى نزواتهم فحكموها . وعلى ميولهم وغرائزهم فأدبوها . ونزلوا بنفوسهم على حكم الله فامتثلوا له . وأطاعوه فى السر والعلانية ومن بين هذه الزمرة يكون الأنبياء والأولياء والمصلحون . والدنيا — كما قال الحسن البصرى — مطية إن ركبتك قتلتك وإن ركبتها حملتك .

والمصلح من الناس من عرف عيوب نفسه ومن معه فبدأ بإصلاح المعوج من نفسه أولا ثم دعا بمثاله وبأقواله وأفعاله ؛ إلى إصلاح غيره . والإنسان لايعطى إلا ما يملك . فالجاهل لايستطيع أن يعلم غيره . والأحمق لايقدر على الدعوة إلى الحلم وضبط النفس . والناس تتأسى بالمثل الصالحة وتتعلم من القدوة الحسنة أكثر من الدعوة بالأقوال المزخرفة . والجمل المنمقة .

شرط المصلح العلم بما يدعو اليه ؛ وإلا فسد عليه أمره وساء حاله بين من يدعوهم . وأن

تكون دعوته خالصة لوجه الله بعيدة عن الرياء . و إلا باء بالخذلان . ورجع بالخسران. سئل الامام الشافعي رضي الله عنه عن الرياء، فقال على البديهة : الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء . فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال: إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب . وفي أي ثواب ترغب . ومن أي عقاب ترهب . وأي عاقبة تشكر . وأي بلاء تذكر . فانك إذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك . وقال سهل رحمه الله : العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به ؛ والعمل كله هباء إلا الاخلاص . وقال الناس كلهم موتى إلا العلماء ؛ سكارى إلا العاملين ؛ والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين . والمخلص على وجل حتى يدري ماذا يختم له به .

و يجب على المصلح أيضا أن لا يبغي من إصلاحه والدعوة اليه مغنما و إلا انهم في دعوته . وانقلب عليه أمره بسوء العاقبة فان حصل على الغنم المنتظر فترت همته . ووهن عزمه . و إن لم يحظ بما يبغي نكص على عقبيه وانفضح أمره . وساء مآله بين عشيرته وقومه . وقد ورد في الأثر : علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا . ولم يشتر به ثمنا ؛ فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء . ودواب الأرض ؛ والكرام الكاتبون، يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدا شريفا ؛ حتى يرافق المرسلين . ورجل آتاه علما في الدنيا. فبخل به على عباد الله وأخذ عليه طمعا . واشترى به ثمنا . فذلك يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار . ينادي به منادٍ على رؤوس الخلائق : هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فبخل به على عباده . وأخذ به طمعا ؛ واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس .

رُوي أن الحسن حمل اليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز . وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة . فقال الحسن: عافاك الله تعالى . ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك . إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقيل من الناس مثل هذا . لقي الله يوم القيامة ولا خلاق له (أي لا نصيب له)

وقال تعالى لعيسى عليه السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت . فعظ الناس و إلا فاستحي مني . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاهم بمقاريض من نار فقلت من أنتم ؟ فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه . وننهى عن الشر ونأتيه .

إذا آنس المصلح من نفسه رشدا وقدرة على العمل فلينظر في إصلاح القرية وما يجب عليه نحو أهلها . وحالة القرى تستدعي دراسة وافية لامن الناحية الصحية فحسب بل من

الوجهة الخلقية أيضا . فقد تداعت أخلاقهم . وفشى الضلال بينهم ، وأفسدت الضغينة والحقد قلوبهم ،وأصبح الكثير منهم يتربص بعضهم الدوائر للثأر والانتقام . فحال مثل هذا لا يفلح فيها نظام إلا إذا صلحت نفوسهم . وتوجهت إلى عمل الخير .

العقبات التى تواجه مصلح القرية

يواجه من يتصدى لإصلاح القرية عقبات كأداء نذكر منها :

١ — فساد النفوس وإعراضها عن الحق وتماديها فى الباطل وانغماسها فى الشهوات

٢ — علل الأجسام والأمراض الفاشية مما له أثر بارز فى ضعف العقول والنفوس

٣ — سوء الحالة المادية فى القرى

٤ — فساد النظام الصحى

الوسيلة : إن كل من يتعرض لاصلاح القرية لابد أن يوطن نفسه على احتمال كثير من الأذى فى سبيل تحقيق دعوته وإلا لحقه الفشل . وإن الدعوة إلى إصلاح النفوس من أشق الأعمال وأكثرها إرهاقا . وهذه الدعوة من واجبات كل مؤمن صادق الايمان قادر على نشرها وإذاعتها . قال ذو النون : ثلاثة من أعلام الايمان : اغتمام القلب بمصائب المسلمين ، وبذل النصيحة لهم متجرعا لمرارة ظنونهم ، وإرشادهم إلى مصالحهم وإن جهلوه وكرهوه

إن خير الوسائل وأقصرها فى تهذيب النفوس وصلاحها هو التمسك بآداب الدين الاسلامى الحنيف . فيجب أن يكون القرآن الكريم هو أمام كل مرشد والداعى اليه والدال عليه. لأنه جامع لسعادة الدنيا والآخرة، ولتكن سيرة رسول الله صلوات الله عليه، وأصحابه رضى الله عنهم خير أسوة لكافة المسلمين فهم الذين سلكوا سبيل الرشاد . ونهجوا فى هذه الحياة نهج السداد

يجب أن تقام شعائر الاسلام فى كل بيت فى القرية من إقامة الصلاة فى وقتها ، وأدائها كما أمر حتى تتصل النفوس بربها وتنتهى عن عيبها وفحشها ومنكرها . قال تعالى : وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر . والله يعلم ما تصنعون (١)

وإن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد من الله إلا بعدا . وإن ما أصاب أهل القرى والمدن من سوء الحال . وظلمة المآل ، لم يكن إلا نتيجة لتركهم أوامر دينهم وإعراضهم عن ذكر ربهم، أمرهم بالصدق فكذبوا . ودعاهم إلى صالح الأعمال، فسلكوا سبيل الضلال . وتركوا كتابه مهجورا . وركبوا هواهم فأضلهم . وفى الخسران والوبال أوقعهم،

(١) سورة العنكبوت

فأصبحوا بين ضال ومضل ومغبون ومفتون . حيارى سكارى يكاد الهم يفترسهم والغم يقتلهم . وقد صدق عليهم قول الله تعالى :(١) « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال ربِّ لِمَ حشرتنى أعمى وقد كنتُ بصيرا قال كذلك أتتك آياتُنا فنسيتَها وكذلك اليومَ تُنسى» (٢) . وقال أيضا « يا أيها الناسُ إنما بغيُكم على أنفسكم — والذين كسبوا السيئات جزاء سيئةٍ بمثلها وترهقُهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أُغشيت وجوهُهم قطعاً من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣) إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناسَ أنفسَهم يظلمون »(٤) «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير »(٥)

إن صلاح النشء الصغير وصلاح أهل القرى والمدن من جميع وجوه الاصلاح لا يتحقق إلا بصلاح النفوس ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . فليعودوا إلى التمسك بآداب الله فى كتابه العزيز فيصدقوا ويكونوا أمناء فى حياتهم، فلا يأكلوا أموالهم بالباطل ولا يدعوا مواشيهم ترعى فى أراضى غيرهم خلسة وسرقة ويجتنبوا قول الزور ويعيشوا مع الله كما أمر، وينتهوا عما نهى . وإن الله تعالى عليهم رقيب وعلى أعمالهم حسيب .

اشترى ابراهيم بن أدهم ، وكان من أعيان الزاهدين ومن كبار الأولياء الصالحين ، بلحا من البصرة ووقعت بلحة من البائع على ما اشتراه ولم يردها وسافر الى بيت المقدس ونام تحت قبة الصخرة، فرأى وهو نائم ملكين أحدهما قصير والآخر طويل، يتحدثان فقال أحدهما للآخر : من هذا النائم هنا ؟ فرد عليه الآخر قائلا: هذا ابراهيم بن أدهم الزاهد . قال هذا الذى اشترى بلحاً من البصرة وقبل بلحة من البائع زيادة على حقه ولم يردها فأنزله الله درجة من مقامه عنده ، فقال: نعم هو هذا الرجل بعينه ، فانتبه ابراهيم بن أدهم فزعاً مرعوبا . وعاد أدراجه الى البصرة واشترى من التاجر بعينه بلحا ورد بلحة ورجع الى بيت المقدس ونام فى مكانه الأول ورأى الملكين وسأل أحدهما الآخر فقال: من هذا النائم؟ فأجاب هذا ابراهيم بن أدهم فقال هذا الذى نزلت درجته درجة لقبوله بلحة فلما رد البلحة لصاحبها رد الله له درجته كما كانت ، فقال الملك الآخر: نعم هذا هو .... انه مَن يَتق ويصبر فان الله لا يُضيع أجر المحسنين (٣) والذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يَرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون »

لا ينال ما عند الله إلا بطاعته . فمن أراد نجاح الولد والبركة فى المال وخصب الزرع ودر الضرع فليتق الله ويلزم أوامره ويراقب نفسه وينزلها على طاعة خالقها ويجتنبها معاصيه ويجعل كتاب الله بين عينيه فيتدبر آياته وينفذ ما جاء فيها أمرا ونهيا ليفوز برضوان الله وسعادة الدنيا

---

(١) سورة طه (٢) سورة يونس (٣) سورة الشورى (٤) سورة الشورى (٥) سورة يوسف (٦) سورة يونس (٧) سورة الاعراف

والآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن يموت عبد حتى يستكمل رزقه فأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوا شيئا من فضل الله بمعصيته . فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته . ألا وإن لكل امرئ رزقا يأتيه لا محالة فمن رضى به بورك له فيه فوسعه . ومن لم يرض به لم يبارك فيه ولم يسعه . فان الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه أجله »

وإذا قام كل فرد بأداء واجبه بأمانة وإخلاص سهل إصلاح الحالة الصحية والمادية وسنتكلم عن ذلك فى المستقبل إن شاء الله فلنفوض أنفسنا أولا على طاعة الله تعالى ونذكر قوله عز وجل :

ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون

الدكتور يحيى احمد الدمرداش

الناس والدهر

تصبر يا أخى لحكم دهر ... ولا تجزع لأمر لا ينال
ولا تغضب لغدر من ليال ... ولا تحفل بآمال تزال
توانيك المعالى كل يوم ... وأنت الغر يزجيك الخال
محال لا يراه أولو ثراء ... تواتر عندهم نشب ومال
فقد ملوا بنشوتها زمانا ... ولم يدروا إلى أين المآل ؟
وأترعت الكؤوس لهم دهاقا ... وفى طغيانهم صالوا وجالوا
علت قلوبهم ملأى بخبل ... يناقض ما حكوه وما يقال
وفى بسماتهم سم الأفاعى ... وسهل الأمر عندهم العضال
فلا تعجب لمن خانوا عهودا ... ولا تيأس إذا ما الصحب مالوا
وكن لكلابهم أسدا جريئا ... وكل لهمو بما قدروا وكالوا
وقف للدهر بالمرصاد حذرا ... ولا يغريك يسر أو نوال

عبد الحميد محمد الدوشقر — مدرس